

مؤسسة الشيخ عمي سعيد ثقافة . تربية . تراث

الأيام الدراسية العلمية:

من الشيخ عمي سعيد بن علي الجربي [ت 927 هـ / 1521 م]
إلى الشيخ جمو بن موسى عمي سعيد [ت 1425 هـ / 2005 م]

المحاضرة الرابعة:

الشيخ عمي سعيد بن علي الجربي
حياته ودوره في نهضة وادي مزاب

إعداد

أ. بشير بن موسى الحاج موسى⁽¹⁾

1- الأستاذ: بشير بن موسى الحاج موسى، خريج قسم التخصص في العلوم الإسلامية التابع لمؤسسة الشيخ عمي سعيد، باحث في التراث، رئيس قسم التراث والمكتبة بمؤسسة الشيخ عمي سعيد، عضو حلقة العزابة بغرداية.

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أيها المشايخ الأجلاء، السادة أعضاء الهيئات الدينية وحلقات العزابة، سماحة الشيخ المفتي العام لسلطنة عمان العلامة أحمد بن حمد الخليلي -حفظه الله-، أيها المستمعون الكرام، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، يشرفني كثيرا أن أتحدث إليكم في هذه المناسبة الطيبة، مناسبة الأيام الدراسية العلمية التي تقيمها مؤسسة الشيخ عمي سعيد المصونة، احتفاء بالإمام المصلح الشيخ سعيد بن علي الجربي الشهير بالشيخ عمي سعيد بمناسبة مرور خمسة قرون على وفاته، واحتفاء بحفيده الإمام الشيخ حمو بن موسى عمي سعيد -رحمه الله- في الذكرى الأولى لوفاته.

أيها الإخوة:

لا شك أن للتاريخ دورا عظيما في حياة الشعوب والأمم، وهو الوسيلة المعنوية لقياس ثقل الحضارات، كما أنه المهادر الذي منه تنطلق الشعوب لبلوغ المراتب العليا في مختلف مجالات العلم والمعرفة؛ وأمة بلا تاريخ أمة في مهب الرياح قد لا تثبت على حال إذا فقدت معالم طريقها.

ولقد قص الله تعالى على عباده المسلمين في القرآن الكريم قصصا للأنبياء والمرسلين تحمل في طياتها ملامح الفطر السليمة، وترسم من خلال مواقف أصحابها عليهم السلام معالم الاهتداء إلى طريق رضا الله، ولم يكن ورود تلك القصص في كتاب الله عز وجل لمجرد التاريخ فقط بل كان ذلك بهدف الاعتبار والاهتداء والتأسي للمسلمين في حياتهم؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: 111]. هذا؛ وما من شك في أن للتاريخ صنعا، وهم الذين يؤثرون في مسيرة حياة الأمة إما بالإيجاب أو بالسلب، ودراسة كل من التأثيرين مهم لمستقبل الأجيال، فدراسة التأثير الإيجابي يفيد في التعرف على مكامن القوة وأسباب النجاح للاستفادة منها؛ كما أن دراسة التأثير السلبي يفيد في التعرف على نقاط الضعف وأسباب الفشل والتقهقر لتفاديها واجتنابها.

وانطلاقا من هذا سيكون حديثي إليكم في هذه المداخلة المتواضعة تحت عنوان:

الشيخ عمي سعيد بن علي الجربي حياته ودوره في نهضة وادي مزاب

وستتناول المداخلة الموضوع في قسمين : قسم يتعلق بتعريف الشيخ عمي سعيد ، وقسم ثان يتعلق بدوره في نهضة وادي ميزاب.

فالقسم الأول المتعلق بتعريف الشيخ سأعرض فيه إلى :

1. اسم الشيخ ونسبه.	4. رحلته إلى وادي ميزاب.
2. مولد الشيخ ونشأته.	5. وفاته ، رثاؤه ، عائلته.
3. تعلم الشيخ ومشايخه.	

والقسم الثاني المتعلق بدور الشيخ في نهضة وادي ميزاب سأعرض فيه إلى نشاط الشيخ في جانبين ، ثم تعداد لمعالم نهضته في ميزاب.

وسأبرز دور الشيخ في الجانب العلمي من خلال :

جهوده في التعليم.

إحداثه لنظام هيئة التلاميذ.

النسخ وتكوين المكتبة.

أما دوره في الجانب الاجتماعي فمن خلال :

دعم نظام حلقة العزابة.

تعزيز نظام العشائر.

تسوية الأوضاع بين القبائل والقرى.

إحداث بعض التنظيمات والسير الدينية والاجتماعية.

رحلاته وتنقلاته.

أما معالم نهضته فمن خلال التعريف بمؤسسات حملت اسمه هي :

مجلس عمي سعيد.

جامع الشيخ عمي سعيد

معهد عمي سعيد.

ومن الجدير بالذكر أن هذه المداخلة مقتطفة من الدراسة التي وفقني الله تعالى إلى إعدادها عن الشيخ عمي سعيد ، وقد اختارت إدارة الأيام -مشكورة- أن تكون الدراسة المذكورة من جملة إصدارات المناسبة ، لذلك فإني أحيل إليها للمزيد من التعرف على ما يتعلق بالشيخ عمي سعيد.

القسم الأول: التعريف بالشيخ عمي سعيد

أولاً: اسمه ونسبه:

قال الشيخ عمي سعيد في ديباجة رسالة له: « من كاتبه سعيد بن علي بن يحيى بن يدّر بن سليمان بن عثمان الجربي ثم الخيري... »⁽¹⁾.

وجاء في فهرس مكتبة الشيخ عمي سعيد المسجل على جلد غزال: « هذا تقييد كتب الشيخ المكرم الوجيه أبي صالح سعيد بن علي بن يحيى بن يدّر بن سليمان بن عثمان الجربي الخيري... »⁽²⁾.

كما أن أحد أحفاد الشيخ عمي سعيد قيد تملكه لإحدى مخطوطات كتاب "ترغيب الراهب وترهيب الراغب" تأليف الشيخ حمو باباوموسى، بصيغة: « سعيد بن الحاج محمد بن موسى بن قاسم ابن موسى بن محمد بن موسى بن محمد بن سعيد بن أحمد بن الشيخ صالح بن الشيخ عمي سعيد بن علي بن يحيى بن يدّر بن سليمان بن عثمان الخيري الجربي »⁽³⁾.

فاسمه ونسبه إذاً كما ذكر لا كما هو مثبت في المراجع الحديثة كلها دون استثناء، حيث ورد فيها نسب الشيخ هكذا: "سعيد بن علي بن حميدة بن عبد الرزاق بن سعيد الخيري الجربي"⁽⁴⁾، وهو كما يبدو واضحاً أنه خطأ بين، ومنشؤه هو مقالات المستشرق القسيس لويس دافيد "DAVID LOUIS" عن مشايخ مزاب⁽⁵⁾، فتابعه الذين جاءوا من بعده على ذلك.

فاسم المترجم له: سعيد، وقد اشتهر أولاً بـ: "أمّي سعيد"، وأصل أمّي هو عمّي، وهو ما استقر عليه اشتهار المترجم له: "عمّي سعيد"، وكلمة أمّي أو عمّي هي إضافة تقدير وتشريف تطلق على العالم والفقيه، فقد عُرف في غرداية مثلاً أمّي موسى، وفي العطف أمّي إبراهيم، وكتاب "الإيضاح" للشيخ عامر الشماخي بكتاب أمّي عامر، وكتاب "الوضع" للشيخ أبي زكرياء يحيى الجناوني بكتاب أمّي يحيى، وغيرها

1- مخطوطة بمكتبة الاستقامة ببني يزجن.

2- الفهرس محفوظ بحوزة الأستاذ صالح بن سعيد باهون.

3- المخطوطة تحت رقم: 07 من مكتبة الشيخ عمي سعيد، وتحت رقم: 86 في فهرسها للمخطوطات الذي أنجزته جمعية التراث (القرارة)، في إطار مشروع: نحو دليل مخطوطات وادي مزاب، رقم: 02.

4- مثل: ملحق السير لأبي اليقظان إبراهيم، 05/1 (مخطوط)؛ نبذة من حياة المزابيين لحمو عيسى النوري، 67/1؛ نظام العزابة عند الإباضية الوهبيّة في حربة لفرحات الجعبري، 290؛ الإباضية في موكب التاريخ لعلي يحيى معمر، 450، 244/4؛ معجم المؤلفين التونسيين محمد محفوظ، 280/2؛ تاريخ بني مزاب للحاج سعيد يوسف، 78 (الطبعة 01)؛ معجم أعلام الإباضية لجمعية التراث، 365/3، الترجمة: 452 (النسخة التجريبية).

1- 27. LOUIS DAVID. les mechaikh du M'ZAB، وهذا النوع من الدراسات في تاريخ وادي مزاب ومشايخه التي قام بها بعض المستشرقين لا يعول عليها، إذ فيها من الخلط وتشويه الحقائق ما يجعلنا نأخذ منها لكن بحذر وتحفظ شديدين.

من كتبه. وإلى مطلع هذا القرن كان القطب الشيخ محمد بن الحاج يوسف اطفيش يعرف ب: عَمِّي محمد في بني يزجن، والشيخ حمو بن باحمد باباوموسى ب: عَمِّي حمو في غرداية.

أما الكنى التي يُكنّى بها الشيخ فهي: أبو عثمان، أبو صالح، أبو عمرو؛ فأبو عثمان هي كنية كل من يتسمّى بسعيد، كما أنّ أبا حفص هي كنية كل من يتسمّى بعمرو، وأبا العباس كنية كل من يتسمّى بأحمد، وأبا طاهر كنية كل من يتسمّى بإسماعيل، هكذا وجدت في بعض التقايد.

أما كنيته: أبي صالح وأبي عمرو فنسبة إلى ابنه: صالح، عمرو.

ثانيا: مولده ونشأته:

ينسب الشيخ عمي سعيد نفسه في كتاباته فيقول: الخيري الجربي؛ فالجربي: نسبة إلى جزيرة جربة بتونس؛ والخيري: نسبة إلى قرية "أجيم"⁽⁶⁾، التي تقع جنوب غرب الجزيرة، وقد يقال صراحة: الخيري الأجيمي معاً⁽⁷⁾.

فمعنى نسبته إلى "أجيم" أنه ولد فيها ونشأ، وذلك بعد منتصف الخمسين الأولى من القرن التاسع الهجري (أي: سنة 825 هـ)، وقبل سنة 841 هـ، إذ وفاة الشيخ كما سيأتي كانت سنة 927 هـ، وذكر الشيخ في قصيدة له أنه زاد عمره على 86 عاما إذ قال:

كيف لا أنسى يا ذوي الدين عمري أرذل والشيب النذير علان
زاد عمري عن الثمانين عاما ستة يا ذا العرش أصلح مكان⁽⁸⁾

وعلى فرض أنه توفي وعمره 86 عاما، فإن ميلاده يكون سنة 841 هـ، وإذا زاد عمره على ذلك فإن ميلاده يتقدم بقدر تلك الزيادة. وإذا احتملنا أن ميلاده كان سنة 827 هـ، فإن عمره يكون سنة وفاته قرنا من الزمن، وهو عمر طويل جدا بالنسبة لرجل أفنى عمره منذ سن مبكرة في تربية الأجيال وتعليمها وإصلاح المجتمع وإعادة بنائه بعد أن كادت تنهدّ قواعده وأنظمتها بالفتن والجهل.

في قرية "أجيم" الزاخرة بالعلم والعلماء نشأ الشيخ عَمِّي سعيد، وفي أحضان عائلته العلمية فتح عينه ودرج أدراجه الأولى، ولا شك أنّ للبيئة التي نشأ فيها أكبر الأثر عليه في سلوكه سبيل التعلم والتفقه في الدين سواء في ذلك عائلته الصغرى أو الكبرى.

1- فرحات الجعيري، البعد الحضاري للعقيدة عند الاباضية، 165/1، هامش: 108.

2- انظر مثلاً: سعيد بن الحاج علي التعاريبي، رسالة في تراجم علماء جزيرة جربة، 27 (مخطوطة).

8- البيتان: 16، 17 من قصيدة للشيخ (مخطوطة بخزانة الشيخ بابكر بن الحاج مسعود الغرداوي).

فمما يرويه عزابة غرداية في يوم موسم الزيارة السنوي أنّ والد الشيخ عمّي سعيد كان رجل علم وآخرة، وإخوته كذلك كانوا ممن له اهتمام بالعلم وطلبه، وكلّهم أكبر سنّاً من الشيخ عمّي سعيد، وهو أصغرهم. وفي قريته "أجيم" كانت المدرسة الشهيرة بجامع بني ليمس، هذه المدرسة التي كانت معقلاً للعلماء والطلاب، وقد خرّجت من حلقاتها عدداً ليس باليسير من العلماء والفقهاء خاصّة بعد القرن العاشر، وفي طليعتهم: العلامة الكبير الشيخ قاسم بن يحيى بن ويران الأجمي⁽⁹⁾. كما كان جامع بني ليمس هذا مقراً لاجتماعات فقهاء وعزابة الجزيرة للنظر في الخصومات والفصل في النوازل بعد أن كان في المساجد التالية على الترتيب: مسجد بني لاكين، مسجد ابن يعلى، مسجد وادي الزيب⁽¹⁰⁾.

وعلى مستوى الجزيرة كان عصر الشيخ عمّي سعيد مزدهراً بالعلم وزاخراً بالعلماء، عدّاً منهم الشيخ سعيد التعاريتي 12 عالماً وفقهياً قادوا حركة التعليم والتأليف وتصدّروها، هم:

1. أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي.
2. أبو النجاة يونس بن سعيد التعاريتي.
3. أبو يحيى زكرياء بن أفلاح الصدغياني.
4. أبو عثمان سعيد بن علي بن يامون الغيزني.
5. قاسم بن عبد الله القاضي اليديسي.
6. أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم البرادي.
7. أخوه محمد بن أبي القاسم البرادي.
8. سليمان بن إبراهيم بن أبي القاسم البرادي.
9. أبو يوسف يعقوب بن أحمد اليفرني.
10. أبو عمران موسى بن أيوب بن يعيش.
11. أبو عمران موسى بن عامر بن علي الشماخي.
12. أبو يوسف يعقوب بن صالح التندميرتي⁽¹¹⁾.

ففي خضم هذا الزخم العلمي نشأ الشيخ عمي سعيد وقضى مراحل الطفولة، وقد ظهر بارزاً أثر هذه النشأة في تكوينه وسلوك حياته.

ثالثاً: تعلمه ومشايخه:

لم نتوصل إلى معلومات تفصيلية عن المراحل التعليمية الأولى للشيخ، إلّا أنّه من خلال النظام التعليمي بمدارس الجزيرة نستطيع القول: إنّ الطالب سعيد بن علي اشتغل أولاً بتحصيل القرآن الكريم حتّى أتمّ حفظه واستظهره، وهذا يُعدّ بمثابة شهادة القبول - على حدّ تعبير العصر - في حلقات العلماء بمساجد الجزيرة للتفقه ودراسة علوم اللغة والشريعة.

1- من تأليفه: شرح نونية أبي نصر فتح بن نوح الملوشتاني؛ سوالات في المنطق؛ حواشي على الجزء 03 من كتاب الإيضاح للشيخ عامر الشماخي؛ جوابات في الرد على بعض المخالفين. توفي سنة 1037هـ. (التعاريتي، 56).

10- الجعبري، نظام العزابة عند الإباضية الوهية في جربة، 284.

11 - التعاريتي، رسالة التراجم، 30.

وكان قد اشتهرت في الجزيرة مدرستان: مدرسة الجامع الكبير بحومة "حشان"، ومدرسة وادي الزبيب بحومة "جعبرة"، وذلك من بين حوالي عشرين مدرسة⁽¹²⁾، لما امتازتا به من كونهما مقررا لحلقات أكابر علماء الجزيرة، فمرارا في الأولى وأخرى في الثانية⁽¹³⁾؛ وفي عصر الشيخ عمي سعيد كان الحظ من مدرسة ثالثة أخرى، هي مدرسة جامع تجديت بحومة "فاتو"، والتي برز فيها نجم العالم الشيخ أبي النجاة يونس بن سعيد التعاريتي فاستقطب طلبة كثيرين، كان من بينهم الطالب النجيب سعيد بن علي الخيري. وقد ذاع صيت الشيخ أبي النجاة وفاق علماء عصره، وإليه انتهت الرئاسة العلمية لمجلس فقهاء الجزيرة، الذي يتولى الإفتاء والفصل في النوازل والمنازعات، وفي منزل الشيخ كان ينعقد هذا المجلس⁽¹⁴⁾. قال التعاريتي: «وأبو النجاة يونس بن سعيد التعاريتي عالم علامة، إليه المرجع في الفتوى والمسائل المشكلات، وهو المقصود في زمانه بجزيرة جربة»⁽¹⁵⁾.

في حلقة هذا الأستاذ القدير تخرج الشيخ عمي سعيد وتفقّه في علوم اللغة والشريعة، وكان من رفاقه النجباء كل من: أبي يوسف يعقوب بن صالح بن نوح التندغيرتي، وإبراهيم بن أحمد من ذرية أبي منصور إلياس، وسلامة بن سعيد الجناوني.

هذا كل ما توصلنا إليه بخصوص أساتذة الشيخ عمي سعيد، أما الشيخ أبو اليقظان فقد ذكر أستاذا آخر للشيخ عمي سعيد مع الأستاذ أبي النجاة، هو الشيخ أبو بكر بن عيسى الباروني⁽¹⁶⁾، ولا ندري ما مستنده في ذلك، وهو عندنا مستبعد، إذ الشيخ أبو بكر بن عيسى هذا من طبقة الشيخ أبي سليمان داود بن إبراهيم التلاتي، وكلاهما تلميذ للشيخ أبي زكرياء يحيى بن عيسى الباروني في جبل نفوسة⁽¹⁷⁾، والشيخ سليمان التلاتي قد تعلم أيضا عند الشيخ أبي مهدي عيسى بن إسماعيل المليكي (ت: 971 هـ) الذي هو تلميذ للشيخ عمي سعيد (ت: 927 هـ)، فكيف يكون الشيخ أبو بكر بن عيسى أستاذا للشيخ عمي سعيد مع أن حياته كانت في طبقة الشيخ التلاتي، التي هي بعد طبقة الشيخ أبي مهدي، التي هي بعد طبقة الشيخ عمي سعيد؟

12- انظر: الجعيري، نظام العزابة، 240.

13- المرجع السابق، 249.

14- شهد بذلك تلميذ الشيخ: سلامة الجناوني، (التعاريتي، رسالة التراجم، 28). ومن أسباب علو شأن الشيخ أبي النجاة على أقرانه في عصره هو أنه حوى علم كثير من المشايخ الذين في جربة وجبل نفوسة، منهم: أبو عفيف صالح بن نوح التندغيرتي، وأبو محمد عبد الله بن أبي القاسم البرادي، وأبو يحيى زكرياء بن أفلح الصدغياني، وكلهم تلمذوا على الشيخ أبي عمران موسى بن أيوب بن يعيش الخيري.

15- التعاريتي، رسالة التراجم، 27. ومن تأليف الشيخ أبي النجاة: حواشي وتعليق على كتاب الجهالات للشيخ تبغورين بن عيسى الملسوطي؛ جوابات في الأحكام قيدها عنه تلميذه سلامة الجناوني. (التعاريتي، رسالة التراجم، 27؛ الجعيري، نظام العزابة، 269).

16- أبو اليقظان إبراهيم، ملحق السير، 23/1 (مخطوط).

17- التعاريتي، رسالة التراجم، 24.

قال الشيخ أبو زكرياء محمد بن زكرياء بن موسى الباروني رواية عن شيخه أبي سليمان داود بن إبراهيم التلاتي: «وقدمت أيضا عام إحدى وستين وتسعمائة إلى جبل بني مصعب، ولازمت الشيخ أبا مهدي عيسى بن إسماعيل -غفر الله له ورضي عنه- وأخذت عنه فوائد جمّة في التوحيد وغيره، وقراءته هو على الشيخ سعيد بن علي الخيري الجربي عن الشيخ أبي النجاة يونس بن سعيد... عن الشيخ صالح بن نوح النفوسي...»⁽¹⁸⁾، وهذا ما يقرّره الشيخ التعاريتي، إذ يقول: «ومنهم الشيخ الأكمل العلامة أبو عثمان سعيد بن علي الداوي، الجربي أصلا، الغرداوي إقامة، وهو ممن أخذ عن أبي النجاة يونس بن سعيد التعاريتي، وممن جازت عليه سلسلة نسبة الدين»⁽¹⁹⁾.

فهذان المصدران أقرب إلى المترجم له زمانا ومكانا، وكما نرى فإنهما لم يذكرنا شيئا للمترجم له إلا الشيخ أبا النجاة يونس بن سعيد التعاريتي، ففي القدر كفاية، والله أعلم.

وعلى ما يرويه عزابة قريتي غرداية ومليكة فإنّ الشيخين: سعيد بن علي الخيري وأبا مهدي عيسى بن إسماعيل المليكّي قد اتّخذ كلّ واحد منهما صاحبه أستاذا له وتلميذا في نفس الوقت، رغم أنّ الشيخ أبا مهدي ثبت تاريخيا أنّه تلميذ للشيخ عمي سعيد، وأنّه ثمرة من ثمار مجهوداته، ومع ذلك فإنّ تواضع الشيخ عمي سعيد جعله لا يستنكف عما عساه يستفيده من تلميذه الوفي والمخلص أبي مهدي، وقد روى أنّ الشيخ عمي سعيد كان يفيد تلميذه في علوم الشريعة والفقه، خاصّة ما يتعلق بالمذهب الإباضي⁽²⁰⁾، وأنّ الشيخ أبا مهدي كان يفيد أستاذه في علوم اللغة والنحو، وكان من عاداتهما أنّهما يجتمعان خارج قريتهما، في ربوة مشرفة على وادي مزاب غرب قرية مليكة، وموضع اجتماعهما معروف إلى يومنا بمقام "أجّاين"⁽²¹⁾. أقول: إن السيرة المتبعة عند مشايخ الإباضية منذ القديم هي أن لا يسمّي التلميذ أحدا ممن تعلّم عندهم من أساتذته شيئا له إلا إذا جلس إليه مرارا وتكرارا في حلقة درسه، وأخذ عنه دروسا كاملة عديدة، في الفقه وعلوم الشريعة؛ وبهذين الاعتبارين يسند التلميذ دينه إلى الذي أخذ عنه فتكون نسبة الدين متسلسلة واحدا عن واحد.

وقد سجل الشيخ أبو زكرياء محمد بن زكرياء بن موسى الباروني نسبة الدين في رسالة خاصة، فأسند دينه إلى الشيخ أبي مهدي عيسى بن إسماعيل المليكّي، عن الشيخ عمي سعيد، عن الشيخ أبي النجاة يونس بن

18- أبو زكرياء الباروني، نسبة الدين، 581، ملحقة بسير الشماخي.

19- التعاريتي، رسالة التراجع، 41.

20- إذ يُروى أنّ الشيخ أبا مهدي كان في نشأته الأولى على مذهب المالكية.

21 - انظر: أبو اليقظان، ملحق السير، 12/1؛ حمو بن باحمد باباوموسى، مشاهد قرى وادي ميزاب وبريان، 07 (مخطوط).

سعيد التعاريتي، عن الشيخ صالح بن نوح النفوسي، عن الشيخ عبد الله بن عبد الواحد الشماخي، عن خاله الشيخ أبي الربيع سليمان بن موسى بن عامر، عن جده الشيخ أبي ساكن عامر بن علي الشماخي، عن الشيخين عيسى بن عيسى الطرميسي وأبي عزيز بن إبراهيم الباروني، إلى آخر النسب حتى يصل إلى الإمام جابر بن زيد عن الصحابي عبد الله بن العباس وعائشة أم المؤمنين وجماعة من الصحابة عن النبي ﷺ عن جبريل عن ميكائيل عن إسرافيل عن اللوح المحفوظ عن ملك الإلهام عن رب العالمين⁽²²⁾.

رابعاً: انتقاله من جربة إلى وادي مزاب:

أ. الأسباب والدواعي:

مرت الحياة الفكرية والروحية بوادي مزاب بمراحل عديدة، فحينما تزدهر وحينما تترك وتسكرن، ووادي مزاب في هذا المجال كغيره من الأقطار الإسلامية في العالم. ولا يخفى أن انحطاط المستوى الفكري للمجتمع وفتور الحركة العلمية فيه يتبع ذلك تردُّ في المستوى الأخلاقي والسلوك الاجتماعي، وقد شهد مزاب في فترات من تاريخه نماذج من هذا المستوى، منها فترة القرن 9هـ، وقد عبّر عن مظاهر ذلك أحد المشايخ في رسالة بعث بها إلى أهل عمان، وهو الشيخ أبو مهدي عيسى بن إسماعيل المليكي (ت: 971 هـ)، إذ يقول: «وقد كان بنو مصعب... في السنين الماضية في الفتنة العابسة، أفضت بهم إلى القتل والإخراج والغدر والهدم، إلى أن كادت شموهم تقول ونسيهم يغول، جرد الدهر على أهل الفضل منهم سيف العدوان وأخرجهم من الأوطان، فمن الله عليهم فعفا بعد أن وقفوا على شفا...»⁽²³⁾.

فهذه الأوضاع التي عاشها المجتمع الميزابي كانت الدافع لأعيانه في التفكير في استقدام عالم من إخوانهم الإباضية في جزيرة جربة المزدهرة بالعلم آنذاك كما سلف، لإصلاح الأوضاع وتنوير المجتمع⁽²⁴⁾؛ وهذه النتيجة التي خلص إليها الأعيان كانت عن تفكير راق واهتمام رفيع المستوى، فرغم الأحوال المتردية من الناحية الأخلاقية والاجتماعية وتفشي الفرقة والفتن لم يستنكفوا من أن يفكروا في تقديم طلب لإخوانهم أهل جربة ليوفدوا إليهم من ينقذهم من ظلمات الجهل؛ فلم يكن صعباً عليهم ولا غريباً عنهم أن ينزل فيهم شخص غريب داراً وأهلاً ولغة يعلمهم ويرشدهم ويزكيهم؛ إن هذا التفكير لم يكن عن صدفة أو

22 - انظر تكملة هذه النسبة عند: أبو زكرياء الباروني، نسبة الدين، 580، ملحقة بسير الشماخي.

23 - مجموع جوابات الشيخين عمي سعيد وأبي مهدي، 21، 22 (مخطوط بمكتبة الاستقامة).

24 - وكان ذلك في اجتماع لهم في روضة الشيخ با عبد الرحمان الكرتي. (مجموع القاضي بوفاره، 37، مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط، رقم: 2342).

عفوية ، وإثما كان بإملاء من غيرتهم على دين الله ، وفهمهم الصحيح للأخوة في الله ، فهو تفكير حضاري عال ، ومعرفة ثابتة لدين الله ، وفهم سديد له .

بعد وصول الوفد المزابي المنتخب إلى جزيرة جربة⁽²⁵⁾ ، وبعد تشاور عزابة جربة وأعيانها في طلب الوفد ، وعلى رأسهم والد الشيخ عمي سعيد وشيخه أبو النجاة يونس ، استجابوا لطلب إخوانهم ، فرشحوا لهم الطالب الطموح والشيخ الصغير سعيد بن علي الخيري ، وكان هذا الترشيح مبنياً على أساس كفاءته المطلوبة ، وعلى صغر سنّه ، ثمّ على كون كاهله لم يُثقل بعد بأعباء مسؤولية الزوجية والأبناء⁽²⁶⁾ .

وهكذا اغتنم الشيخ عمي سعيد هذه الفرصة الذهبية ، وفاز بها على إخوانه الكبار وأقرانه الطلبة ، وسار على بركة الله مع الوفد المزابي ، وكلّه أمل في أن يبذل قصارى جهده لتنوير بلده الجديد ، والنهوض به إلى أعلى المثل .

ب. تاريخ وفوده إلى مزاب:

ذكر الشيخ التعاريتي في رسالته التي وضعها لتراجم علماء جزيرة جربة أنّ قدوم الشيخ عمي سعيد إلى وادي مزاب كان في أوائل القرن العاشر الهجري⁽²⁷⁾ ، وهذا غير صحيح ، فأخر تاريخ للنسخ سجله الشيخ عمي سعيد خارج مزاب كان في سنة 884هـ على كتاب "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" لابن هشام الأنصاري ، وقد نسخه في جبل نفوسة بليبيا ، وأقدم تاريخ سجله الشيخ في مزاب كان سنة 889هـ إذ أرّخ به أحد جواباته العلمية لأحد السائلين⁽²⁸⁾ ، ولم يذكر مكان وجوده حينها ، إلاّ أنّه من خلال بعض القرائن نرجّح أنّ الشيخ عمي سعيد ألّف جوابه هذا وسائر تأليفه لما استقر بمزاب ، إذ نستبعد أن يؤلف الشيخ الجواب المذكور وهو بجربة ، فإنّه يوجد بها من هو أولى بذلك منه من المشايخ والعلماء ، ثمّ إنّّه لم يرد ذكرٌ لهذا الجواب عند مؤرخي جربة كالحيلاتي والتعاريتي .

25- يذكر أنّ الوفد كان في أربعين رجلاً ، وفي رواية أنّهم كانوا خمسة رجال ، أي: ممثّل عن كلّ قصر من القصور المزابية آنذاك وهي: العطف (تاجنيت)، غرداية (تغردايت)، بنورة (آبنور)، مليكة (آلمليشت)، بني يسجن (آتسجن)، وهذه الرواية هي الأقرب للواقع ، ويروى أن القافلة وصلت جربة وهي في حالة سيئة ، بفعل ضنك السفر وتماطل الأمطار عليها في الطريق قبل وصولها بمدة . (ينظر: الشيخ الحاج حمو بن موسى عمي سعيد، موسم الزيارة، شريط سمعي مسجل بحوزتي؛ بمجموع القاضي بوفاره، 37).

26- يذكر عزابة غرداية في يوم موسم الزيارة أن أعيان جزيرة جربة أحوالوا طلب إخوانهم المزابين على والد الشيخ عمي سعيد وهو: علي بن يحيى، إذ كان له سبعة أبناء، وفي رواية ثلاثة أبناء، وكلّهم من طلاب العلم ومتحصليه، أصغرهم هو الشيخ عمي سعيد. ومما يؤيد أهمّ ثلاثة ما يذكره العزابة يوم الزيارة أن والد الشيخ عمي سعيد قام باختبار كفاءة أبنائه الثلاثة بسؤال طرحه على كل واحد منهم، فسأل كبيرهم عن موقفه تجاه من يسيء إليه فأجابته بأنه يقابله بالإساءة؛ وسأل أوسطهم نفس السؤال فأجابته بأنه يقابله بعدم الالتفات إليه؛ وسأل أصغرهم وهو الشيخ عمي سعيد نفس السؤال فأجابته بأنه يقابل إساءته بالإحسان إذ الإحسان يقهر الإساءة، وهذا فاز الشيخ عمي سعيد في الاختبار وظهرت أهليته وكفاءته. (انظر: الشيخ الحاج حمو بن موسى عمي سعيد، موسم الزيارة، شريط سمعي).

27- التعاريتي، رسالة التراجم، 27.

28- مخطوط مكتبة الاستقامة ببني يزجن.

لهذا نقول: إنّ الشيخ عمّي سعيد وفد إلى مزاب بعد سنة 884هـ وقبل 889هـ، وذلك على فرض أنّ مجيئه إلى مزاب في هذه الفترة كان لأوّل مرة، إذ قد رحل من مزاب مرارا كما سيأتي.

ج. مرافقوه إلى مزاب:

اشتهر على الألسنة أنّ الشيخ عمّي سعيد جاء معه من جربة كلّ من: الشيخ الحاج محمد بن سعيد المعروف بالشيخ بالحاج، والشيخ دحمان، فالأوّل استوطن بني يسجن، والثاني استوطن بنورة، وقد تعدّت هذه الشهرة إلى المصادر التاريخية الحديثة⁽²⁹⁾، رغم أنّ الواقع خلاف ذلك.

فالشيخ الحاج محمد بن سعيد معاصر للشيخ عمي سعيد حقاً، إلّا أنّه مصعبي (مزابي)، إذ قال في آخر كتاب "سير الوسياني" الذي نسخه ما يلي: «تمّ ما وجد... على يد... الحاج محمد بن سعيد بن محمد بن سليمان الإباضي مذهبا، المصعبي نسباً، ووافق الفراغ منه ضحوة يوم الجمعة 23 شعبان عام 956هـ»⁽³⁰⁾، إلّا أنّه سافر إلى جربة لطلب العلم، وقد نسخ بها كتاب: "شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول" بتاريخ: يوم الأحد 04 رمضان عام 955هـ، في مسجد القصبيين بجربة، وذكر اسمه: «الحاج محمد بن سعيد بن محمد بن سليمان المصعبي»⁽³¹⁾.

أقول: من الأخطاء الشائعة في الألسن نسبة بعض المشايخ إلى جربة -مثلاً- وهم في الأصل مزابيون، وسبب ذلك أنّهم سافروا إلى جربة ومكثوا فيها مدّة من السنين لطلب العلم، وبعد رجوعهم يسري في العامّة أنّهم كانوا في جربة، فعبر الأجيال يُتناقل خطأ أنّهم جاءوا من جربة وأنّهم جرييون أصليون، ومثال ذلك -إضافة إلى الشيخ بالحاج الذي هو مدار الحديث- الشيخ أبو زكرياء يحيى بن صالح الأفضلي، فقد روى بعض من أهالي يسجن أنّ أصله من جربة، وهو خطأ بين إذ هو مزابي ومن مدينة بني يسجن⁽³²⁾.

أمّا الشيخ دحمان فلم نقف على شيء من كتبه ومستنسخاته، إلّا أنّ القطب أطفيش -رحمه الله- نقل في كتابه "الرسالة الشافية" نص اتفاق بين أعراس بلدة بنورة، قيده الشيخ عمّي دحمان بن الحاج سنة 1121هـ⁽³³⁾، وبهذا يستحيل أن يكون الشيخ دحمان معاصراً للشيخ عمّي سعيد، فكيف يكون مرافقاً له من

29- تقدم ذكرها في أول المداخلة عند تحقيق نسب الشيخ.

30- مخطوط. مكتبة الشيخ الحاج صالح بن عمر لعلي، بني يسجن.

31- مخطوط. مكتبة الشيخ الحاج صالح بن عمر لعلي، بني يسجن.

32- أفادني بذلك الأستاذ: يحيى بن عيسى بوراس.

33- القطب أطفيش، الرسالة الشافية، 51، 52.

جربة ، ولعله إنما نُسب إلى جربة لما ذكرنا قبل قليل ، أو لكونه جريباً إلا أن كان وفوده إلى مزاب بعد الشيخ عمي سعيد⁽³⁴⁾.

د. وفاته، رثاؤه، عائلته:

اشتهر في المصادر التاريخية الحديثة أن الشيخ عمي سعيد توفي سنة 898 هـ، وقد كان هذا من نتائج ما أذاعه القسيس لويس دافيد "LOIUS DAVID" في مقالاته التي نشرها عن مشايخ مزاب ، وقد أظهرت الوثائق التاريخية المكتشفة مؤخراً أن هذا كذب محض وافتراء.

فمما أزال كثيراً من الغبار عن معالم شخصية الشيخ عمي سعيد اكتشاف سفر مخطوط بخط ابنه الشيخ عمرو بن سعيد ضمنه كثيراً من رسائله وأشعاره ، ومما جاء فيه :

« توفي الشيخ المكرم ، السنخ المعظم ، أعلم أهل زمانه وضياء أهل أوانه ، العالم المرحوم أبو عثمان سعيد بن علي الجربي الخيري رحمة الله عليه ، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر : في ليلة الإثنين لثلاث بقين من جمادى الآخر عام سبعة وعشرين بعد تسعمائة من هجرة النبي المصطفى عليه السلام ، في اليوم الثاني من يله بالسنة العجمية »⁽³⁵⁾ ، أي سنة : 1521م.

وهكذا انتهت حياة الشيخ عمي سعيد الجسمية ، ليولد من جديد ويبقى حياً بقاء آثاره ومنجزاته. دفن -رحمه الله- بالمقبرة الموجودة خارج بلدة غرداية ، في الضفة الأخرى للوادي ناحية "سالم أو عيسى" ، وهي أقدم مقبرة بغرداية ، وقد اشتهرت باسمه : مقبرة الشيخ أمي سعيد ، نسبة إلى أعظم دفين بها.

وقد رثاه تلميذه وصديقه الشيخ أبو مهدي عيسى بن إسماعيل المليكي بقصيدة ، على ما ذكره الشيخ عمر بن صالح الغرداوي (ت : ق 12 هـ) في قصيدة له⁽³⁶⁾ ، وقال الشيخ التعاريتي في معرض ترجمته للشيخ أبي مهدي : «...وله ديوان شعر بليغ فيه قصائد يرثي بها شيخه سعيد بن علي المذكور»⁽³⁷⁾ ، ولم نقف على شيء من ذلك.

خلف الشيخ عمي سعيد بعد وفاته من عائلته :

34- ذكر لي السيد الحاج دحمان بن محمد داودي البنوري -أحد قدماء العزابة- أن الشيخ دحمان أصله من جزيرة جربة ، وبالضبط من قرية: غيزن؛ ويؤيد قوله هذا وجود عائلات في جربة باسم: "دحمان" و"ابن دحمان"، والله أعلم.

35- أشعار عمرو بن سعيد، 30 (مخطوط بمكتبة الشيخ الحاج صالح لعللي، بني يزقن).

36- مخطوطة بمكتبة الشيخ حمو بن باحمد باباوموسى، ألفها في مدينة مصر سنة 1165هـ.

37- التعاريتي، رسالة التراجم، 42.

- 1/ زوجته مريم بنت عبد الله بن نوح بن منصور المصعبية ، وهي أم أولاده على ما يبدو إذ لا زوج له غيرها في علمنا ؛ توفيت بعد زوجها بأربعين يوما ، وذلك في ليلة الجمعة 07 شعبان عام 927 هـ⁽³⁸⁾.
- 2/ ابنه صالح وقد خلف والده في النشاط العلمي والاجتماعي ، وهو من العلماء والصالحين الذين تُذكر مناقبهم في يوم موسم الزيارة بغرداية ، وهو دفين مقبرة والده ، وقبره معروف بها ؛ ولا تزال ذريته إلى يومنا تعيش ببلدتي غرداية وبريان.
- 3/ ابنه عمرو ويعرف بـ "بعمور" ، وهو عالم ومؤلف وشاعر ، عثرنا له على سفر بخطه يحوي مجموعة من رسائله وقصائده ، وذكر فيه أنه تولى وظيف القضاء بين بني مصعب وأرخ لذلك⁽³⁹⁾ ، ووفاته تكون بعد سنة 937 هـ ، إذ في السفر المذكور تقييدات أرخصها بهذه السنة ؛ ولم يخلف من الذرية الذكور ، أمّا الإناث فله مريم المولودة في النصف من ليلة الاثنين 21 جمادى (1) عام 932 هـ⁽⁴⁰⁾.
- 4/ ابنه موسى لا نعلم عنه شيئا إلا كون عقبه لم يتواصل ، ومن عقبه ابنه سعيد المولود يوم 22 شعبان عام 937 هـ⁽⁴¹⁾.
- 5/ ابنه عيسى وهو كسابقه من حيث علمنا به ، وهو لم يخلف عقباً ، توفي يوم الإثنين 18 جمادى (2) عام 929 هـ⁽⁴²⁾.
- 6/ ابنه علي لا علم لنا به إلا أنه الثاني مع أخيه صالح في كون ذريته لا تزال باقية إلى يومنا بغرداية⁽⁴³⁾.

القسم الثاني: دور الشيخ عمي سعيد في نهضة وادي مزاب

اتسم نشاط الشيخ عمي سعيد في وادي مزاب بالشمولية ، فقد غطت نهضته المباركة العديد من مناحي الحياة ، وتميزت نهضته بمرتكزات أساسية عليها قام صرحها وارتفع بناؤها ، ويبدو لنا أن من جملة تلك المرتكزات أمران بارزان هما :

– الاهتمام بالعلم كأولوية لإنعاش الوضع المزابي ، بنشره وإرساء قواعده وتوفير وسائله واتخاذ التدابير الرامية لاستمراره.

38- أشعار عمرو بن سعيد، 30.

39- المرجع السابق، 31.

40- المرجع السابق، 31.

41- المرجع السابق، 31.

42- المرجع السابق، 31.

43- استفدت هذه المعلومات عن أبناء الشيخ عمي سعيد من لقاء مع أحد حفدة الشيخ السيد الحاج محمد بن سعيد بن الحاج محمد بن موسى... إلى آخر النسب المذكور في ص: 02.

- اعتماد منهج العمل المؤسساتي وتكريس ذلك في مختلف المجالات الحيوية للمجتمع ، ويبدو ذلك جليا من خلال اهتمام الشيخ بالنظام الاجتماعي بهيئاته ومجالسه مثل حلقة العزابة ومجلس الأعيان ، بتفعيلها وتثمين جهودها حتى تقوم بدورها المنوط بها على أحسن وجه وأكمله. وكان الشيخ في هذا المنهج مبدعا إلى حد بعيد ، فقد أدى به وعيه العميق بالأمر -مثلا- إلى إحداث نظام هيئة التلاميذ (إروان) كمؤسسة تتولى التمكين للعلم عامة وللفقه في الدين خاصة ؛ هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن إحداث هذا النظام يعد إحياء للدور الأول والأساسي لحلقة العزابة حين تخلت عنه لأسباب أدت إلى ذلك ، واتجه اهتمامها في المقابل إلى الجانب الاجتماعي.

ويمكن إبراز آثار هذين المرتكزين من خلال ما يلي :

أولا: نشاطه العلمي وثماره:

أ. جهوده في التعليم:

استفقر الشيخ عمي سعيد جلّ جهوده لنشر العلم وإرساء قواعده ، إذ وجد مزاب في حاجة شديدة إلى العلم⁽⁴⁴⁾ ، وقد شرع في إلقاء دروسه بجامع غرداية عند استقراره فيها⁽⁴⁵⁾ ، فجعل من المسجد معهدا عامرا يؤمّه طلاب العلم من كلّ قرى الوادي الخمسة ، وكانت السيرة المتبعة في ذلك العصر عند قرى مزاب أنّ أمر التعليم والدراسة يوكل إلى العزابة ، فهم الذين يقومون به ويشرفون عليه ، وذلك في مسجد البلد. غصّ مسجد غرداية بطلاب الشيخ عمي سعيد وتلاميذه وضاق بهم ، فكان ذلك من أسباب توسيع المسجد إلى جهة القبلة لأوّل مرة بعد بنائه في حوالي 5ق هـ ، ولا تزال آثار هذا التوسيع ماثلة للعيان إلى يومنا هذا ، ويدل عليها المحراب الثاني حاليا.

تخرج من حلقات الشيخ عمي سعيد طلبة عديدون بحكم هذا النظام التعليمي الذي سلكه ، ولم تذكر المصادر من هؤلاء إلا اثنين ، أولهما ابن الشيخ عمي سعيد واسمه صالح ، الذي كانت له جهود في نشر العلم

44- لا نستطيع الجزم بأن وادي مزاب قد خلا من رجال العلم والفقه كلية في عصر الشيخ عمي سعيد أو في عصر آخر، فهذا نستبعد وقوعه، إذ انخراط المستوى العلمي والأخلاقي للمجتمع لا يعني ذلك، فهو متى همّش هؤلاء الرجال وغضب عليهم وأقصاهم من منابر التوجيهية أصيب بالانحطاط، ففي عصر الشيخ عمي سعيد -مثلا- ذكر القطب أطفيش أنّه وجد مع الشيخ عمي سعيد رجلين من أهل العلم عدّهما من طبقة هما: الشيخ أيوب بن قاسم التجيني، والشيخ عبد العزيز بن يحيى الغرداوي. ومثال آخر هو عصر الشيخ عبد العزيز الثميني بين القرنين 12 و13 هـ الذي شهد تردّيا كبيرا رغم ما سبقه من مجهودات الشيخ أبي زكرياء يحيى بن صالح الأفضلي.

45- لم يستقر الشيخ عمي سعيد ببلدة غرداية. محض إرادته، بل كان ذلك بعد تنازع أهل القرى عليه، فكان من تفكيره الرشيد أن نظم لهم مسابقة عدوٍ يشارك فيها مثل من كل قرية، ففاز بها صاحب غرداية. انظر: الشيخ الحاج حمو بن موسى عمي سعيد، موسم الزيارة (شريط سمعي).

وخدمة المجتمع بعد والده⁽⁴⁶⁾، ثانيهما هو الشيخ أبو مهدي عيسى بن إسماعيل بن عيسى المليكي المصعبي كما تقدم آنفاً.

ب. إحداثه لنظام هيئة التلاميذ:

فهم الشيخ عمي سعيد المجتمع المزابي فهما جيداً، وعرف الأسباب التي أوصلته إلى تلك الحال، فعزّز جهوده العلمية بإحداث نظام دراسي للتلاميذ يضمن استمرار الحركة العلمية وازدهارها، يعرف هذا النظام حالياً بمنظمة "إِرْوَان"⁽⁴⁷⁾.

وإذا تأملنا في أصل نشأة نظام حلقة العزابة نجد أنّ الشيخ عمي سعيد إنّما أنشأ نظام التلاميذ على أصوله، وذلك عندما صُرِفَ اهتمامات الحلقة إلى الجانب الاجتماعي على حساب الجانب العلمي، فكان عمل الشيخ عمي سعيد هذا إحياءً لأصل نشأة نظام الحلقة -والذي هو نظام علمي تعليمي بحت- ورجوعاً إليه. وقد تلقى هذا المشروع رواجاً في قرى مزاب وانتشر فيها، حيث أصبح نظام الشيخ متبعاً في كل مدينة من المدن المزابية ومعروفاً فيها، يقوم بدور مهم في بث العلوم الشرعية والتفقه في الدين والإفتاء. وقد عرف هذا النظام في كل قرى مزاب دون استثناء، أما في وارجلان فلم يعرف فيها إلا مؤخراً منذ بضع سنوات.

وقد جعل الشيخ لهذه المؤسسة الجديدة شروطاً لمريدي الالتحاق بها، وتنظيمات داخلية وخارجية يلزم أعضاؤها تطبيقها والإتيان بها، تشترك في كثير منها مع تنظيمات حلقة العزابة. كما خُصّص لهذه الهيئة مقرٌّ بجوار مسجد القرية، تُوفّر فيه كلّ وسائل التعلّم والتفقه في الدين، مثل مكتبة تحتوي على أمّهات اللغة والفقه ومقررات التدريس، ويُعرف هذا المقر في كامل قرى مزاب بـ: "دار التلاميذ"، وقد عُلقَتْ بهذه الدور أوقاف وأحباس لصالح الطلبة ومدرسيهم.

ج. النسخ وتكوين المكتبة:

قصد التمكين لقواعد العلم وتحقيق أسباب انتشاره بوادي مزاب بذل الشيخ عمي سعيد قسطاً وافراً من جهوده من أجل تهيئة الأرضية الملائمة لذلك، ومن أهم ما يبرز ذلك اهتمامه بنسخ أمّهات الكتب في علوم اللغة والشريعة وتكوين أول مكتبة وقفية عامة.

وبناء على ما اطلعنا عليه من بقايا مخطوطات الشيخ عمي سعيد نستطيع القول إنّّه كان مهتماً بنسخ الكتب، وكان هذا ديدنه أينما حلّ وارتحل، فقد ذكر في آخر مخطوطة "الجامع" لابن جعفر الأزكوي أنّه نسخ «يوم

46- انظر: الشيخ الحاج حمو بن موسى عمي سعيد، موسم الزيارة (شريط سمعي).

47- هذه الكلمة باللهجة المزابية جمع لـ: إِرْوُو، وهو مأخوذ من الإرواء والارتواء في الفقه والعلم. (عن لقاء مع عريف منظمة التلاميذ بغرداية الشيخ الحاج حمو بن بكير اشقيب حفظه الله).

الأحد بعد الضحى وقبل زوال الشمس ، يوم السابع عشر من صفر عام تسع وسبعين وثمانمائة... بمسجد الجديد في جزيرة جربة...»، وفي آخر مخطوطة كتاب "الأفعال" أنه نسخه « في أواسط ذي القعدة عام أحد وثمانين وثمانمائة... وذلك في مسجد الجديد... في زمان الشيخ الفاضل العالم العامل ، شيخ الإسلام وضياء الأنام... يونس بن سعيد التعاريتي ثم الخيري...»، هذا في جربة بتونس ؛ أما في جبل نفوسة بليبيا فقد ذكر في آخر مخطوطة كتاب "مغني اللبيب عن كتب الأعراب" أنه فرغ من نسخه في « أواخر صفر عام أربعة وثمانين وثمانمائة... وأكمل نسخته في جبال نفوسة في بلد إجرين... » ؛ وفي وادي مزاب لم يتوقف عن هذا النشاط ، فمن ذلك أنه ذكر في رسالة له إلى شيخه أبي النجاة أنه نسخ كتاب "سير المشايخ" (48).

وقد أسفرت الحملة التي قمنا بها في العديد من مكتبات المخطوطات بوادي مزاب عن إحصاء ما يربو على الخمسين عنوانا عثرنا عليها ، بين كتاب ورسالة وقصيدة (49) ، بخط الشيخ عمي سعيد ، وأغلبه كان إثباته بالمقارنة بين المخطوط ، الشيء الذي يجعل نسبة خطوط بعض العناوين للشيخ أمراً نسبياً اجتهداها ؛ ولا شك أنّ كثيراً من الخزائن والرفوف القديمة لا تزال تحتوي على كثير من منسوخاته ، قال الشيخ أبو اليقظان : « وقد ترك الشيخ كثيراً من نفائس الكتب التي يملكها حبسا في خزانة دار التلاميذ بغرداية بخطه في نص الوقف... » (50).

بهذا الاهتمام كون الشيخ مكتبة عامرة غنية المصادر ، مختلفة الفنون نستطيع تصنيفها إلى مواد عامة هي :

– اللغة العربية ، (نحو ، صرف ، عروض).

– الفقه الإباضي.

– العقيدة الإباضية.

– السيرة النبوية.

– التاريخ الإباضي.

وقد ترك كتبه وقفا على طلبة العلم ، مجموعة منها جعلها نواة لمكتبة دار التلاميذ التي أنشأها كما ذكر الشيخ أبو اليقظان سابقا ، ومجموعة أخرى هي مكتبته الخاصة التي هي حاليا تحت مسؤولية حفدته.

48- مجموع جوابات الشيخين ، 80. وكتاب "سير المشايخ" الظاهر أنه كتاب السير للشيخ أبي الربيع سليمان الوسياني (ق06هـ-) ، ويؤيد ذلك ورود هذه التسمية

"سير المشايخ" في بعض مخطوطات الكتاب (ينظر نسخة منه في مكتبة الشيخ الحاج صالح بن عمر لعلي بني يزجن).

49- ينظر تفاصيلها عند: بشير الحاج موسى ، الشيخ سعيد بن علي... حياته ودوره في نهضة وادي مزاب ، ص: 23 وما بعدها.

50- أبو اليقظان ، ملحق السير ، 06/1.

ولم تبق مكتبته الخاصة محفوظة كما تركها، فقد نقصت منها أسفار وأضيفت إليها أسفار، وقد وُضع فهرس حديث لكتبها على جلد غزال، كتبه الشيخ الحاج عمر بن صالح⁽⁵¹⁾، نقله من خط الشيخ باب بن محمد الغرداوي (ت: 1207هـ)، الذي نقل من خط أخيه الشيخ أبي القاسم بن محمد بن الحاج أبي القاسم بن يحيى وكلاهما من علماء غرداية.

ومحتوى الفهرس عبارة عن قائمة لعناوين الكتب تحت قسمين: الأول: كتب الشرع؛ الثاني: كتب المعقول من النحو والأصول والمنطق والمعاني والبيان والعروض. ولم يلتزم واضع الفهرس بهذا التقسيم، فقد صُنّف عدّة عناوين في غير قسمها، ولعل هذا يرجع إلى عدم تثبته عند الكتابة، وأنّه كان فيها يعتمد على حفظه، إذ قال في معرض سرده لكتب القسم الثاني: «وكتاب في النحو غاب عني اسمه».

كما أن هذا الفهرس وُضع في زمن متأخر عن وفاة الشيخ عمي سعيد، وفيه من العناوين ما يدل تاريخ نسخها على ذلك، مثل النسخة الثانية من "مغني اللبيب عن كتب الأعراب" المنسوخ سنة 1101هـ.

وكما أنّه لم يحو جميع الكتب الموجودة في مكتبة الشيخ، فمن هذه الأخيرة كتاب "تنقيح الفصول في علم الأصول" للقرافي، إذ كتب الشيخ في وجه ورقته الأولى: «ملك لسعيد بن علي الخيري ثمّ الجربي، أحلى الله له معانيه، وأفاده ما فيه، وأبعد عليه كل شيء يعانيه»، ومع هذا لم يرد ذكره في الفهرس.

وقد وقفت على عدّة كتب من المؤكد أنّها كانت للشيخ عمي سعيد، وجدها متفرقة في عدة مكتبات، ولم يرد ذكرها في جلد الفهرسة⁽⁵²⁾.

وللعلم فإنّ مكتبة الشيخ تعتبر مبادرة مبكرة للمكتبات العامة بوادي مزاب، وهي -في علمنا- أقدم مكتبة على مستوى قرى مزاب، ليس بالنظر إلى منشئها فحسب، بل إلى الكتب التي كونها بها وبخط يده.

ثانيا: نشاطه الاجتماعي وثماره:

يعتبر العمل الاجتماعي أشقّ مهمّة لرجال النهضة العلمية والإصلاح الاجتماعي، وإذا كان الشيخ عمي سعيد قد بذل جهودا جبارة في نشر العلم بالمجتمع المزابي وتمكين الوعي الثقافي فيه، فإنّه بذل جهودا أكبر في الميدان الاجتماعي، وإن كان جانب نشر العلم وتثقيف المجتمع وسيلة مباشرة من وسائل الإصلاح الاجتماعي.

51- من علماء غرداية وفقهائها، مكث مدة بمصر طالبا للعلم، وفي مكتبات المخطوطات بوادي مزاب كثير من الأسفار نسخها بخطه الجميل في وكالة الجاموس بمصر، من تأليفه قصيدة لامية في وصف حال غربته وشوقه إلى مسقط رأسه (مخطوطة بمكتبة الشيخ حمو بابا وموسى بغرداية)، وكانت وفاته في العقد الأول من القرن 13هـ.

52- ينظر عناوين بعض هذه الكتب في: الشيخ سعيد بن علي... حياته ودوره في نهضة وادي مزاب، ص: 72. وعن محتويات جلد الفهرسة ينظر المرجع السابق، ص: 73 وما بعدها، فقد أثبتت هنالك محتوياته ضمن ملاحق الكتاب.

حارب الشيخ عمي سعيد كثيرا من البدع التي كان المجتمع متمسكا بها، وصحّح كثيرا من المفاهيم التي كان يعيش عليها، في جانب السلوك الاجتماعي عامّة، وفي جانب ممارسة العبادات والمعاملات الشرعية خاصة⁽⁵³⁾.

ولا تزال آثار الشيخ عمي سعيد في المجتمع المزابي جلية خالدة، تشهد له بالفضل والجهاد، والتضحية من أجل تنظيمه، ونفي الجهل عنه، ونشر الفضيلة في أوساطه؛ وأستطيع أن أوجز أبرز الأعمال التي قام بها الشيخ عمي سعيد في المجال الاجتماعي مما هو مبثوث في بعض الكتب أو بقي محفوظا في بعض الصدور، ومن ذلك أذكر ما يلي:

أ. دعم نظام حلقة العزابة وبعثه: وذلك بتقوية هيئته في قلوب العامة وأوساطها، وإحداث تنظيمات داخلية وخارجية له، من ذلك توحيد اللباس العزابة على مستوى كلّ قرى مزاب، وذلك بارتداء الحائك الصوفي، وهو اللباس الذي يرتديه العزابة ورجال العلم في مواطن الإباضية بجزيرة جربة وجبال نفوسة⁽⁵⁴⁾.

ب. تعزيز نظام العشائر: بإحداث مجلس يضم ممثلا عن كلّ عشيرة من عشائر الإباضية، ثم توسع بعد ذلك ليشمل أعيان أعراش المالكية وجمالية اليهود، وذلك على مستوى بلدة غرداية أين استوطن الشيخ، يقوم هذا المجلس بالتنسيق بين كتل البلدة الواحدة، وتقريب وجهات نظر أعيانها، وهو بمثابة هيئة تنفيذية لقرارات حلقة العزابة، الهيئة العليا المشرفة على شؤون البلدة؛ يعقد هذا المجلس اجتماعاته خارج البلدة آنئذ، ولا تزال آثار مكان هذه الجلسات ماثلة إلى يومنا في سوق غرداية، وهي أحجار مثبتة على شكل حلقة يجلس عليها أعضاء المجلس.

ج. تسوية الأوضاع بين القبائل والقرى وإخماد الفتن: قام الشيخ عمي سعيد بدور فعال في جانب تهدئة العلاقات التي كانت سيئة وثائرة بين القرى والقبائل، ووقفه الله تعالى في ذلك إلى حد بعيد، فانتشر الأمن، وساد الإخاء؛ وقد شاهد الشيخ عمي سعيد آثار جهاده في حياته، إذ قال في ديباجة رسالة له: «...وبعد، فالأمور -ولله الحمد- في هذه البلاد على وفق المراد، وفوق المعتاد، قد انتشرت بركة الدين وفضائله مشرقا ومغربا، وبلغت مبعضا ومحبا، وظهرت له عبر فوق ما يُذكر متجددة ومتابعة، ما من واحدة إلا هي أكبر

53- ذكر لي أحد المشايخ أنّ الشيخ عمي سعيد أقبل على المجتمع المزابي بكل نشاط وحماس، يحدوه في ذلك أمل تقويمه وتسييره على الجادة، من ذلك أنّه أمر بدم المرافق التي تحمل تراب التيمم بمسجد غرداية الكبير لما رأى بعض المسنين يتيممون للطهارة ولا يستعملون الماء، الشيء الذي لم يعهده في موطنه جربة، وبعد مدة من أمره هذا تبين له أن ما كان يعمل المزايون موافق للشريعة، فالظروف المناخية بمزاب والبرودة القارسة التي تجتازه في أيام الشتاء تُعجز المسنين عن استعمال الماء في الطهارة، بخلاف الظروف المناخية بجربة فإنّها ألطف بكثير، فراجع الشيخ عن قراره.

54- يروي العزابة في موسم يوم الزيارة أن مشايخ جربة وأعيانها عند وداعهم للشيخ عمي سعيد ألبسوه حائك العزابة إشعارا منهم بالمسؤولية الثقيلة التي تستقبله، وهي تبليغ أمانة الدين ونشر تعاليمه بالتعليم والإفتاء. (انظر: الشيخ الحاج حمو بن موسى عمي سعيد، موسم الزيارة، شريط سمعي).

من أختها، ... وجعل الله ذلك رفعة له وتشريفا لأهله وذكر لهم في الآفاق، وقد كان قبل ذلك قد يشك فيه بعض أهله ممن لم يحسن معرفة الأصول، ... والحمد لله قد تحقق الكل من القريب والبعيد والغوي والرشيد أنه الحق، بعدما كاد ألا يبقى له أثر في جميع هذه البلاد كلها، وقد من الله تعالى بفضله فصارت الأمور ظاهرها وباطنها خيرا بعدما كانت على خلاف ذلك...»⁽⁵⁵⁾.

كما شهد بتحسّن أحوال المجتمع المزابي تلميذ الشيخ عمي سعيد وصديقه أبو مهدي عيسى ابن إسماعيل المليكي، إذ قال في رسالة له إلى أهل عمان بعد أن عرض لهم الأوضاع السيئة التي كان فيها المجتمع: «... فمن الله عليهم فعفا، بعد أن وقفوا على شفا، فأنقذهم برحمته فتداركوا ما أفسدوا بالصلاح، وما ظلموا بالإصباح، فألف بين القلوب بعد الافتراق، وجمعهم من التشتيت إلى الوفاق، والحمد لله الملك الخلاق، ...»⁽⁵⁶⁾.

د. إحداث بعض التنظيمات والسّير الدينية والاجتماعية: وذلك على مستوى قرى وادي مزاب، كإحداث الورد الذي يقرؤه المصلون بعد صلاة الصبح من كلّ يوم، ويعرف بـ: "دعاء السلام"، وهو في مجموعه آيات قرآنية وأدعية نبوية مأثورة وأذكار.

وكتأليف خطبتين للعيدين، الفطر والأضحى، وهما في غاية البلاغة والبيان، سلك فيهما الشيخ منهج الترغيب والترهيب. قال الشيخ أبو اليقظان: «ما زالتا تُقرأ على الجماهير في هذين اليومين المباركين من كلّ عام، ولقربهما من أفهام العامة كان لهما التأثير البالغ على النفوس، وكم أسالتنا من دموع الخشية من عيونهم، وقد طبعتا عدّة مرات»⁽⁵⁷⁾.

وقد درج الإباضية في الجزائر كلّها أينما وجدوا على قراءة دعاء السلام المذكور وخطبتي العيدين للشيخ إلى يومنا هذا، مع أنّنا على مشارف القرن السادس بعد وفاة الشيخ عمي سعيد، إنّها بركة جلّية، وتوفيق إلهي رافق الشيخ في أعماله.

ثالثا: رحلاته وتنقلاته:

اقتضت ضرورة نشر العلم وإصلاح المجتمع وتمتين العلاقة بين أوصاله من الشيخ عمي سعيد الارتحال من حين إلى آخر من مقر سكناه غرداية إلى إحدى القرى المزابية، إمّا لزيارة خفيفة أو لمكث فترة

55- من رسالة للشيخ عمي سعيد، مخطوطة بمكتبة الاستقامة ببني يزجن.

56- مجموع جوابات الشيخين، 22.

57- أبو اليقظان، ملحق السير، 06/1.

طويلة ؛ من ذلك إشارته في رسالته التي بعثها إلى تلميذه وصديقه الشيخ أبي مهدي عيسى ابن إسماعيل في مرضه الذي مات فيه أنه قام بزيارة إلى مدينة "تاجنيت" (العطف) ⁽⁵⁸⁾.

أما خارج وادي مزاب فقد كان كذلك رحالة بين أصقاع الإباضية ؛ وسنة زيارة الإباضية لبعضهم بعضا قديمة منذ قدمهم، يتواصلون بها، ويعملون بها، ويبتغون في ذلك فضل الله. وفي كتب التاريخ الإباضي نماذج حية من تمسك المشايخ بهذه السيرة، حتى أنّ البعض منهم روي عنه ما يدل على ضرورة التمسك بهذه السيرة والالتزام بها وإيمانه بأن تركها من علامات آخر الزمان.

وقد ضرب علماء الإباضية أروع الأمثلة في إحياء هذه السنة، فكم من علماء عثمانيين زاروا إخوانهم المغاربة في مزاب وجربة ونفوسة، وكم من علماء مغاريين زاروا إخوانهم العثمانيين ؛ وقد كان الشيخ عمي سعيد من سلالة هؤلاء العلماء، يزور إخوانه في جربة وفي جبل نفوسة وفي وارجلان.

أ. رحلاته إلى جزيرة جربة:

بعد قدوم الشيخ إلى مزاب رجع مرة على الأقل إلى جربة، لزيارة إخوانه وأقاربه -على ما أثبتته بعض الرواة-، وقد ذكر الشيخ عن نفسه في رسالة له إلى شيخه أبي النجاة أنه رحل مرتين إلى وارجلان ليواصل بعدها إلى جربة ⁽⁵⁹⁾، وذكر في رسالة أخرى له أنه رحل مرة من جبل نفوسة إلى وارجلان إلى بني مصعب إلى جربة ⁽⁶⁰⁾.

ب. رحلاته إلى جبل نفوسة:

من المخطوطات التي نسخها الشيخ عمي سعيد كتاب "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" لابن هشام الأنصاري، وقد نسخه في أواخر صفر عام 884هـ في جبال نفوسة، في بلد "إجريجن"، وهل كانت رحلته هذه إلى جبل نفوسة قبل مجيئه إلى مزاب أو بعده؟ لا نستطيع ترجيح أحد الاحتمالين إلا بمعلومات أخرى تكون وليدة البحث والتنقيب مستقبلا.

وقد ذكر الشيخ التعاريفي أنّ الشيخ عمي سعيد قام برحلة من جبل نفوسة إلى وارجلان إلى بني مصعب إلى جربة، وصحب معه الشيخ صالح بن نوح بن محمد النفوسي أحد علماء عصره ⁽⁶¹⁾، ويبدو أنّ هذه الرحلة

58- الرسالة مخطوطة ضمن مجموع جوابات الشيخين، (محفوظ بمكتبة الاستقامة ببني يزجن).

59- مجموع جوابات الشيخين، 80.

60- التعاريفي، رسالة التراجم، 43.

61- التعاريفي، رسالة التراجم، 43، نقلا عن رسالة للشيخ عمي سعيد إلى شيخه أبي النجاة.

كانت بعد مجيء الشيخ إلى مزاب ، ولكن لماذا بدأت من جبل نفوسة وانتهت بجربة مع أنّ موطن الشيخ هو مزاب؟ الله أعلم.

ج. رحلاته إلى وارجلان:

كانت وارجلان في عصر الشيخ عمي سعيد من معاقل الإباضية العامرة بالعلم والعلماء -ولا تزال فيها البركة- ، ويعبر الرصيد الهائل من المراسلات بين علماء الوطنين -وادي مزاب ووارجلان- عن متانة العلاقات واستمرارها عبر العصور.

ذكر الشيخ عمي سعيد -كما مرّ- في رسالته إلى شيخه أبي النجاة أنّه رحل مرتين إلى وارجلان ، وذكر عن نفسه في رسالة أخرى له لم نقف عليها أنّه سافر إلى وارجلان رفقة العالم الشيخ صالح بن نوح ابن محمد النفوسي في طريقه من جبل نفوسة إلى جبال بني مصعب⁽⁶²⁾.

* من معالم نهضة الشيخ عمي سعيد في وادي مزاب

أولاً: مجلس عمي سعيد:

من هياكل المجتمع الإباضي بوادي مزاب مجلسٌ أعلى يجمع شيوخ حلقات العزابة وفقهائها وبعض الأعيان في بعض الأحيان ، لتوحيد الرؤى والقرارات في المسائل والقضايا المشتركة بين القرى ، والبث في النوازل الفقهية المستجدة.

وهو يحمل عدة أسماء يضعها الكتاب في صدور محاضر جلساته ، منها:

- عزابة بني مصعب وعلمائهم.
- عزابة بني مصعب وعوامها وعلمائهم.
- عزابة خمسة قصور.
- مجلس عزابة واد مزاب طلبة وعواما.
- مجلس العلماء.
- مجلس علماء عزابة واد مزاب.
- مجلس علماء واد مزاب.
- علماء خمسة قصور.

وبالنظر في محاضر اتفاقات هذا المجلس المتوفرة بين أيدينا يظهر لنا أن جلساته كانت تنتقل بين إحدى روضات ثلاث :

- روضة الشيخ باعبد الرحمان الكرثي بمليكة.

- روضة الشيخ عمي سعيد بغرداية.

- روضة الشيخ أبي مهدي عيسى بن إسماعيل المليكي بمليكة.

وقد درج أهل مزاب حاليا على أن يسموا المجلس الذي يهتم بالقضايا السياسية بمجلس الشيخ باعبد الرحمان الكرثي ، والمجلس الذي يهتم بالقضايا الفقهية والاجتماعية بمجلس الشيخ عمي سعيد.

والذي تفيد نصوص الاتفاقات الموجودة بين أيدينا هو أنّ المجلسين المذكورين إنّما كانا مجلسا واحدا ، وأنّ هذا التصنيف أحدثه مؤخرا أعيان مزاب بعد استقلال الجزائر سنة 1962م.

ومّا نستدل به على ما قلناه : نصّ المجلس في كثير من محاضر جلساته على أنّ ما اتفق عليه في روضة ما قد سبق وأن اتفق عليه نفسه في روضة أخرى ، ونأخذ لذلك مثالين :

1 - جاء في محضر اتفاق عزابة بني مصعب وعلمائهم الذين اجتمعوا في مسجد (روضة) باعبد الرحمان الكرثي في موضوع بعض المسائل تتعلق بالبيوع ما يلي : «... وقد اتفق الجميع في مسجد الشيخ عمي سعيد -رحمه الله- على أنّ الغبن لا يؤثر في البيوع ، وقد اتفقوا على هذا القول وأبطلوا غيره في بلادهم ، ...» ؛ وذلك في ذي الحجة من سنة 974هـ.

2 - جاء في محضر اتفاق لمجلس علماء عزابة وادي مزاب في موضوع بعض المسائل تتعلق بالأسرة ، الواقع في ربيع الأول من عام 1151هـ ما يلي : «... واتفق المجلس في مقام الشيخ باعبد الرحمان الكرثي قبل هذا ، ووقع خلاف بعده ، وجدّده المجلس الثاني في مقام الشيخ أمّ سعيد بن علي الجربي ، اتفقوا على...».

ففي المثال الأوّل وقع الاتفاق في مقام الشيخ الكرثي تجديدا لاتفاق وقع في مقام الشيخ عمي سعيد ، وفي المثال الثاني وقع الاتفاق في مقام الشيخ عمي سعيد تجديدا لاتفاق وقع في مقام الشيخ الكرثي ، أضف إلى ذلك أنّ الموضوع في كلا المثالين فقهي.

وإذا خالصنا إلى أنّ أصل المجلسين مجلس واحد ، ثمّ علمنا أنّ أقدم الاتفاقات الموجودة بين أيدينا مؤرخة بسنتي 807 هـ و 811 هـ ، تقرر لدينا أنّ الشيخ عمي سعيد لم يكن المنشئ لهذا المجلس ، وإنّما نستطيع القول إنّ الشيخ كان له دور الباعث والمنعش والمنشط له ، لاستقطابه همم أعيان وادي مزاب ، وللدور الذي لعبه في إصلاح ذات البين بين الأطراف المتنازعة ، والمكانة العلمية التي تبوّأها في عصره.

بهذا يبطل زعم القسيس لويس دافيد "LOIUS DAVID" في نشرته عن مشايخ مزاب أن الشيخ عمي سعيد أنشأ المجلس الذي يحمل اسمه في 13 شوال 855هـ يوافق 17 فيفري 1492م⁽⁶³⁾، وهذه أكذوبة أخرى من أكذوبات هذا المستشرق التي اختلقها عن تاريخ المنطقة، وكأنني به من المؤرخين المعاصرين للمترجم له.

وخلاصة القول :

إنّ مجلس الشيخ عمي سعيد ومجلس الشيخ باعبد الرحمان الكرثي المعروفين اليوم إنّما هما تطور لمجلس واحد أنشئ قبل عصر الشيخ عمي سعيد، ويُنسب لروضات المشايخ : باعبد الرحمان الكرثي⁽⁶⁴⁾، عمي سعيد، أبي مهدي عيسى، لاتخاذ هذه الأخيرة مقرا لجلساته، وسبب اقتصاره عليها يرجع إلى ما يلي :

- انحصار جلساته في روضات هؤلاء المشايخ الثلاث، اعترافا لما لأعظم دُفنائها من كبير الفضل على المجتمع المزابي والمذهب الإباضي، فقد كان كلّ واحد من هؤلاء الثلاثة رائد الحركة العلمية في زمانه، وأعلم أهل عصره، وإليه مرجع الفتوى والفصل في النوازل الفقهية.

- توسط روضات هؤلاء المشايخ الثلاث للقرى الميزابية الخمسة آنذ.

- اعتبار الروضة الأقرب لرئيس المجلس (شيخ وادي مزاب)، فبحسب ذلك قد يقر المجلس في روضة وقد ينتقل⁽⁶⁵⁾.

ثانيا: جامع الشيخ عمي سعيد:

في ثنایا البحث والتنقيب في بعض مكاتبات المخطوطات وقفنا على 08 مخطوطات متفرقة بين ثلاث مكاتبات، بعضها تحمل عبارة التحبیس لجامع الشيخ عمي سعيد، وأخرى لروضة الشيخ عمي سعيد، والعبارة في غالبها جاءت كما يلي : «...وقف لله تعالى على طلبة العلم بجامع الشيخ سعيد الجربي»، وفي أحدها جاءت هكذا : «ملك من أملاك... حبسه في الشيخ أم سعيد»، وجاءت في أخرى : «حبسه... على... علماء غرداية الأعلم فالأعلم، فلا يخرج منها إلا لروضة الشيخ أم سعيد»، من هذه العبارات يتبادر إلينا أحد احتمالين اثنين :

63- LOUIS DAVID. les mechaikh du M ZAB. 27

64- هو الشيخ عبد الرحمن الكرثي المصعبي، اشتهر بالشيخ باعبد الرحمن الكرثي، والباء التي في أوله للتقدير والتعظيم، فيقال لأحمد باحمد، ولسعيد باسعيد وهكذا؛ والشيخ من علماء مزاب في القرن 06 هـ، وهو من المعمرين الأوائل له، استقر به المقام بقرية مليكة. أوردت كتب التاريخ رسالة له بعث بها إلى علماء وارجلان ضمنها بعض الأسئلة في العقيدة، وذكرت أن الشيخ أبا عمار عبد الكافي (ت 570هـ) تولى الإجابة على أسئلته. وقد توفي في ظروف غامضة، ولم يعرف قبره. (أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، 488/2).

65 - انظر : احمد بن سليمان مطهري، المجالس الدينية بوادي مزاب، 04، (مخطوط).

1 - إمّا أنّ المسجد الكائن قرب ضريح الشيخ عمي سعيد، والذي يجتمع فيه عزابة وأعيان وادي مزاب، وهو المسمّى روضة الشيخ عمي سعيد، هو المذكور آنفا باسم: جامع الشيخ سعيد الجربي، كان معهدا لطلب العلم، إمّا في زمان الشيخ عمي سعيد أو بعده، وهو ما تؤكدُه عبارة: « وقف لله تعالى على طلبه العلم »، وأنّه كانت بهذا الجامع مكتبة، ويؤيد هذا الاحتمال العبارتان الأخيرتان من عبارات التمليك المذكورة.

2 - وإمّا أنّ المقصود بجامع الشيخ عمي سعيد هو دار التلاميذ بغرداية، فمن الممكن جدا أن تُنسب هذه الدار إلى الشيخ عمي سعيد لأنّه هو الذي أنشأها -كما مرّ- ودرّس فيها، ويؤيد هذا الاحتمال ورود عبارة: « يرجع لدار التلاميذ » بعد إحدى عبارات التمليك المذكورة. والأمر بعد كلّ هذا يحتاج إلى مزيد بحث وتحقيق.

ثالثا: معهد عمي سعيد:

امتدادا للمنهج الذي سلكه الشيخ عمي سعيد في القرن العاشر الهجري من أجل النهوض بوادي مزاب، واستمرارا على نفس التوجه الفكري الذي سار عليه، وسيرا في منحاه الحضاري استلهم ثلة من مشايخ وادي مزاب وأعيانه فكرة إنشاء معهد عمي سعيد.

فغداة استقلال الجزائر وتخلصها من ربقة المستعمر الفرنسي الغاشم سنة 1382هـ/1962م؛ خرجت الجزائر من حربها معه منهكة القوى متردية الحال قد ترك العدو الفرنسي آثاره في كثير من مناحيها، وكان هذا الأمر نتيجة للحملات الشرسة التي دامت أكثر من نحو قرن ونصف سعى من ورائها المستعمر إلى طمس هوية المواطن الجزائري المسلم ومسح مقومات شخصيته من اللغة العربية وتعاليم الدين الإسلامي.

وقد كان للشعب الجزائري إبان الاستعمار الفرنسي وقبل الاستقلال جهود تعليمية جبارة في مختلف المدن والقرى من أجل التصدي للمستعمر وإحباط مخططاته في تمييع الشخصية الإسلامية الجزائرية؛ وفي وادي مزاب أشرفت "حلقات العزابة" على إنشاء مدارس للتعليم القرآني على النمط العصري، هي من الجانب الروحي امتداداً للمحاضر⁽⁶⁶⁾ ودور التلاميذ⁽⁶⁷⁾. وقد عرّفت هذه المدارس توسعا وانتشارا مع مر السنين نظرا للنمو الديموغرافي والامتداد العمراني، فتكونت مدارس في مختلف مدن وادي مزاب.

66- جمع محضرة، وهي مدارس قرآنية على شكل كتابات معتمدة من قبل حلقة العزابة في كل قرية، إذ تعيّن الحلقة فيها مدرسين متخصصين في تحفيظ القرآن الكريم لطلبة القرية وتعليمهم مبادئ القراءة والكتابة.

67- سبق البيان أن دور التلاميذ هي مقرات الهيئة التعليمية المسماة بـ: هيئة التلاميذ، والتي هي نظام تعليمي أنشأه الشيخ عمي سعيد لضمان تفرغ الطلبة لتحصيل العلم والتمكن من العلوم الشرعية.

وكانت المدرسة التي نشأت في مدينة غرداية في حوالي سنة 1378هـ/1958م بمساعي وجهود رؤساء حلقة العزابة آنئذ وهم السادة: الشيخ حمو بن موسى عمي سعيد إمام المسجد الكبير⁽⁶⁸⁾، والشيخ داود حواش الوكيل العام على أوقاف المسجد المذكور⁽⁶⁹⁾، والتي عُرفت في ذلك الوقت بـ "مدرسة المسجد"، وأطلقت عليها إدارتها بعد توسعها واستقرارها اسم "مدرسة عمي سعيد"، كانت المهادر الأول لمعهد عمي سعيد، كما كانت النواة الأولى لـ: مؤسسة الشيخ عمي سعيد.

وبعد أن قطعت هذه المدارس أشواطاً معتبرة في تربية الأجيال وتكوينها في عشرات من السنين وكانت تقتصر في الغالب على المرحلة الابتدائية فقط، قامت إدارة مؤسسة الشيخ عمي سعيد بمدينة غرداية - وتحت إشراف حلقة العزابة - بتعزيز المشروع بأقسام لمزاولة دراسة مرحلة التعليم المتوسط آنذاك ومرحلة التعليم الثانوي، وبذلك تم ميلاد معهد عمي سعيد سنة 1393هـ/1973م.

وتوسع المشروع بعد ذلك إلى المرحلة الجامعية بتأسيس: قسم التخصص في العلوم الإسلامية سنة 1409هـ/1988م⁽⁷⁰⁾.

68- من أبرز أحفاد الشيخ عمي سعيد أخذ العلم عن جده من جهة أمه الشيخ بهون بن موسى الحاج سعيد، والشيخ حمة بالة، والشيخ الحاج يوسف بن إبراهيم بافولولو، كان رئيس عائلة آل عمي سعيد قبل مرضه، وهو عضو حلقة العزابة بغرداية وإمامها بالمسجد الكبير، وقد تبوأ مشيخة الحلقة خلفاً للشيخ الحاج محمد بن باحمد باباوموسي (ت 1394هـ/1974م)، وافته المنية بعد أن تجاوز عمره قرناً من الزمان وذلك يوم الثلاثاء 12 ذو الحجة 1425هـ يوافق 01 فبراير 2005م.

69- الشيخ داود بن قاسم حواش -رحمه الله- من الرجال الأفذاذ الذين خدموا الأمة في مختلف الميادين، الدينية والعلمية والاجتماعية، وترك بصمات خالدة خاصة في المجتمع الإياضي بوادي مزاب، كلف من قبل مشايخ مزاب بنظارة أوقاف الإياضية بالجزائر، وكلف من قبل حلقة العزابة بغرداية بوكالة أوقاف المسجد الكبير، كما كان المدير الشرقي لمعهد عمي سعيد منذ نشأته، وافته المنية في 24 رمضان 1410هـ/ 21 أبريل 1990م. (ينظر للتوسع: من سجل الخالدين... المرحوم داود بن قاسم حواش).

70 - ينظر للتوسع: مؤسسة الشيخ عمي سعيد- بطاقة تعريفية شاملة، كلها.

المراجع المعتمدة

أ. المخطوطات:

1/ أبو القاسم بن محمد بن الحاج أبي القاسم بن يحيى ، فهرس مكتبة الشيخ عمي سعيد ، نسخ عمر بن صالح بن أبي القاسم المصعبي ، مخطوط على جلد غزال بحوزة الأستاذ صالح بن سعيد بابهنون.
2/ أبو اليقظان إبراهيم بن عيسى ؛ ملحق لسير الشماخي . (مخطوط مصور بحوزة الباحث).
3/ أحمد بن سعيد الشماخي وأبو القاسم البرادي وغيرهما ، مجموع يحتوي على شرح العقيدة للأول وجوابات للثاني ، وفصول أخرى للغير ، مخطوط نسبنا نسخه للشيخ عمي سعيد ، مكتبة الشيخ الحاج بابكر بن الحاج مسعود ، غرداية.
4/ أحمد بن سليمان الحيلاتي ، رسالة في بعض تواريخ جربة ، مخطوطة مصورة لدى الباحث.
5/ حمو بن باحمد باباوموسى ، مشاهد قرى وادي مزاب وبريان ، مخطوط بمكتبة الشيخ حمو باباوموسى ، غرداية.
6/ سعيد بن الحاج علي التعارتي ، رسالة في تراجم علماء جزيرة جربة ، (مخطوط مصور بحوزة الباحث).
7/ سليمان بن عبد السلام الوسياني أبو الربيع ، كتاب السير ، نسخ الحاج محمد بن سعيد بن محمد بن سليمان الإباضي المصعبي عام 956 هـ. مخطوط بمكتبة الشيخ ج صالح لعللي ، بني يزقن.
8/ عبد الوهاب ابن السبكي والقاضي البيضاوي وابن الحاجب وغيرهم ، مجموع يحتوي على مؤلفات في أصول الفقه للمذكورين وقصيدتين للشيخ عمي سعيد بخطه ، مخطوط بمكتبة الشيخ الحاج بابكر بن الحاج مسعود ، غرداية.
9/ عمر بن صالح بن أبي القاسم المصعبي (ت: ق12هـ) قصيدة في وصف الغربية والشوق إلى الوطن ، مخطوطة بمكتبة الشيخ حمو بن باحمد باباوموسى ، ألفها في مدينة مصر سنة 1165 هـ.
10/ عمرو بن سعيد بن علي الجربي ، أشعار عمرو بن سعيد : مجموع يحتوي على بعض أجوبته وقصائده ، بخطه ، مخطوط بمكتبة الشيخ ج صالح لعللي ، بني يزقن ، مصور لدى الباحث وعليه فهرس مفصل من وضعه.
11/ عمي سعيد وأبو مهدي عيسى ، ومحمد بن أبي القاسم ؛ مجموع جوابات ورسائل ، مخطوط بمكتبة الشيخ باسه بن أمي موسى ، وارجلان ، مصور لدى الباحث وعليه فهرس مفصل من وضعه.
12/ عمي سعيد وأبو مهدي عيسى ؛ مجموع جوابات ، مخطوط بمكتبة الاستقامة ، بني يزقن ، مصور لدى

الباحث وعليه فهرس مفصل من وضعه.
13/ عمي سعيد ؛ مجموع جوابات ورسائل بخطه ، مخطوط بمكتبة الشيخ ج صالح لعلي ، بني يزقن ، مصور لدى الباحث.
14 / عمي سعيد ؛ ملف يحتوي على صور مستنسخاته ورسائله ووثائق تتعلق به ، بحوزة الباحث.
15/ القرافي ، كتاب شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول ، نسخ الحاج محمد بن سعيد بن محمد بن سليمان الإباضي المصعبي عام 955 هـ ، في مسجد القصبيين بجزيرة جربة ، مخطوط بمكتبة الشيخ ج صالح لعلي ، بني يزقن.
16/ محمد بن إبراهيم بوفاره القاضي ، مجموع يشتمل على بعض تواريخ واتفاقات ميزاب ، مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط ، المغرب ، رقم : 2342 ، نسخة مرقونة لدى الباحث.
17/ محمد بن سليمان مطهري ؛ المجالس الدينية بوادي مزاب ، مخطوط بمكتبة المؤلف ، مليكة العليا. مصور لدى الباحث.

ب. المطبوعات:

- 1/ أبو زكرياء الباروني ؛ نسبة الدين ، ملحقة بسير الشماخي.
- 2/ أحمد بن سعيد الشماخي أبو العباس ؛ كتاب السير.
- 3/ جمعية التراث (القرارة) ، فهرس مخطوطات مكتبة الشيخ عمي سعيد بغرداية.
- العدد : 02 من إصدارات مشروع : نحو دليل مخطوطات وادي مزاب / معجم أعلام الإباضية ، جزء المغرب (النسخة التجريبية).
- 4/ حمو عيسى النوري ؛ نبذة من حياة المزايين.
- 5/ علي يحيي معمر ؛ الإباضية في موكب التاريخ.
- 6/ فرحات بن علي الجعيري ؛ نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة / البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية.
- 7/ محمد بن يوسف أطفيش ؛ الرسالة الشافية في تواريخ وادي مزاب.
- 8/ محمد محفوظ ؛ معجم المؤلفين التونسيين.
- 9/ يوسف بن بكير الحاج سعيد ؛ تاريخ بني مزاب ، الطبعة الأولى.

10 / جمعية عمي سعيد ؛ من سجل الخالدين... المرحوم داود بن قاسم حواش.

11 / مؤسسة الشيخ عمي سعيد ؛ بطاقة تعريفية شاملة.

12 / LOUIS DAVID. les mechaikhs du M'ZAB.

ج. المقابلات الشخصية:

1 / مقابلة الشيخ الحاج حمو بن بكير اشقبق.

2 / مقابلة مع الأستاذ: يحيى بن عيسى بوراس.

3 / مقابلة مع الأستاذ موسى بن إبراهيم قرريط.

4 / مقابلة مع السيد الحاج دحمان بن محمد داودي البنوري.

5 / مقابلة مع السيد الحاج محمد بن سعيد بن الحاج محمد بن موسى عمي سعيد.

6 / مقابلة مع السيد الحاج محمد بن موسى عمي سعيد.

د. التسجيلات الصوتية:

1 / الحاج حمو بن موسى عمي سعيد ، موسم الزيارة ، شريط سمعي مسجل بحوزة الباحث.